

حول مقال ...

للدكتور سيد نوفل

إليها من مسارج ندع الدكتور الأديب المؤرخ يجول فيها
وبصول ، وغر باللغو كراما

وأبرى 'نفسى من مناقشته الحساب فى هذا ، ففحن لم نتعلم
هذا اللون من القول ، ولم نصطنعه فيما مارسناه من تعدد سنين طويلة .
وأختم حديثى بنقد الكلمة التى اعتبرها المؤلف بيت القصيد
فى كتابه ، وأردها حكماً بينى وبينه :

أفد جعل أولها قوله : « وليس لأحد من المتقدمين والمتأخرين
تحليقاته فى أفق الطبيعة الواسع »

سبحانك اللهم وبحمدك ! هذا دليل لنا يورده المؤلف ذاته ،
ومصدق لما أخذناه عليه من الأحكام العامة القاطمة التى
لا يستطيع أحد أن يحمل تبعة الدفاع عنها ، ولا يثبت أكثرها
فى العلم بله الأدب

هل أتاه حديث الشعر الذى سبق امرأ القيس والشعر الذى
عاصره فى الطبيعة ؟

وهل علم المحاولات التى أعقبته ، وحديث النهضات المترامية
فى الشام والشرق والأندلس ومصر بعده بقرون ؟

وهل درس حركة « الرومنسزم الغربية » وسيادة شعر
الطبيعة فيها ، وقابل بين الخطوط الكبيرة لهذا الشعر الغربى ،
والخطوط الكبيرة لشعر امرئ القيس ، ثم انتهى إلى ما قرر ؟

إن هذا اللون من الأحكام العامة منكر فى باب البحث
العلمى

ثم يقول : « وله فى لمان البرق واختلاجه فى السماء آيات
لا هي من الوصف الحسى ، ولا هي من الوصف الخيالى ، وإنما
هي تصوير فقط »

ما معنى هذا ؟ لقد طلبت المعونة من الله والناس على حل
أناز هذه العبارة ، فلم يجب دعائى ، ثم نظرت فتبينت الإحالة
على أنهما : الحسى يقابله المعنوى لا الخيالى ، فهذا يقابله الحقيقى
أو الواقعى . والوصف الحسى تصوير والوصف المعنوى تصوير ،
وإذاً فلا تقوم هذه المقابلة العجيبة بين الوصفين وبين التصوير ،
وما نعلم أن تصوير الشيء يخرج عن أن يكون وصفاً حسياً
أو معنواً له !

ودع عنك الألفاظ البراقة التى استعملها والتى لا تجمل فى

ككتبت مقالاً فى مجلة (الثقافة) عن الشوامخ سلكت فيه
طريق الناقد المعنى ببيان الحقائق ، وعرض المآخذ ، فى أسلوب
علمى يورد الحجة ، وينأى عن التجريح

أوردت ملاحظاتى على أبواب الكتاب ، وبينت ما يشيع
فيه من الاضطراب والاستطراد ، وما يرد من أقوال عامة ، يقع
فيها أكثر الذين يأخذون العلم عن الصحف وحدها ، تتناقض
حينها ، ولا تثبت للبحث دأماً

وانتهيت إلى « أن هذه الصفحات المائة تتحدث عن الأدب
العربى من امرئ القيس إلى مطران ، وأن المؤلف كان حريصاً
على إبراد كل علمه فيها ، فران عليها الاضطراب والاستطراد ،
وأنها لا تعدو إلا إيراد المقتضب والنظرات العجلى »

ثم لم أغمط المؤلف حقّه فقلت : « لكنّها فى الحن من قبيل
التعبير القريب الهين عن إعجاب قارىء بشاعر أطلع على بعض
شعره ، وطائفة من أقوال الناس فيه . ومن هنا فهى حقيقة
بالجهد من مؤلف يعتبر نفسه مؤرخاً سياسياً »

لكن الدكتور المؤرخ ، هاج وماج على طريقتة ، وتقم على
حظه العائر ، وتبين نفسه فى موضعها الفلق من هذا العالم الظالم
العائى ، وبلغ التشاؤم منه مبلغه ، فضاق بالدنيا وبكل ما فيها
من ممان ومن فيها من ناس ...

ومن حسن الحظ أن عقل الإنسان ، أو بعض بنى الإنسان ،
يجد لصاحبه مخارج من المآزق دائماً ، فهدى الدكتور عقله
الكبير إلى أن له أسوة ، وإياها من أسوة أفيما أصاب شوقي ،
وما أصاب البحتري وفكتور هوجو من قبله ... قد تعرضوا
لهجمات النقاد وقد صبروا ، وما أجدره أن يصبر ، وألا يحمل
نفسه ولا أهله مكروهاً . ولهذا اطمأن واستراح

هذه خلاصة دقيقة لمقال الدكتور الذى صاغ مادته ، وأعتذر
للقرء من إيراد بعض ألفاظه ، من (البقر) و (الحجير) و (النطح)
و (الدجل) و (الجهالة) و (الشذرذ) و (القوضى) ، وما